دعوة لإعادة تشكيل نهج قراءتنا لخطاب الآخر

حسن مظفر الرزو*

مقدمة

إن ثمة سؤالاً مهماً بات يطرح نفسه علينا بإلحاح (في هذه الأيام) حول جدوى الطرق التقليدية التي نستخدمها في قراءة نصوص الآخر، التي عمد من خلالها إلى تحليل هويتنا، وتحديد البقع الواهنة المقيمة في كياننا الفكري، أو الاجتماعي.

ونحن كذلك بحاجة إلى التنقير عن ماهية الأدوات السحرية والشريرة (في كثير من الأحيان) التي يستخدمها الآخر لممارسة حفرياته في نصوصنا، والوقوف على الدهاليز السرية من خطابنا اللاواعي حيث يقيم "الهو" (Id) الذي اصطنعه سيغموند فرويد ليمنح نفسه فرصة دراسة الجزء اللاواعي من الذات المتفتحة على الوجود عبر "أنا" الذات الإنسانية (Ego) بعد أن تقيم مصالحة مع الأنا الأعلى (Super Ego) الذي يحكم البيئة التي نقطن فيها.

لا أظن أننا نختلف على ضرورة استخدام أدوات جديدة، أو ابتكار آليات مستحدثة لها القدرة على تلبية هذا الطلب الملحّ في عصر العولمة حيث تتشابك البيانات، وتتدفق المعلومات في فيض هادر يعصف بكثير من ثوابت التفكير والتحليل التقليدية. من أجل ذلك، ولأسباب أخرى ستتضح بعد أن نسهم جميعاً في رحلة

* مدير المكتب الاستشاري العلمي كلية الحدباء الجامعية الموصل، العراق.

مبتكرة مع خطاب يسعى كاتبه الغربي إلى تكثيف مفرداته، ونشر مجسّاته لفهم الإسلام السياسي، سنحاول قراءة النص دون ممارسة مهنة القراءة! وسنحاول أن نمارس عمليات التحليل المعلوماتي، والتنقير المعرفي لمفردات النص بنهج حلزوني (غير خطي) لكي نضع أيدينا على المفاهيم المطروحة في هذه الدراسة، دون أن نكلّف أنفسنا عناء ممارسة القراءة التقليدية الخطية!

فرضية البحث ومسوغات النهج المقترح

تحتوي مواقع الشبكة الإلكترونية والملفات الرقمية المطروحة على شبكة الأنترنيت المختلفة على حصيلة معرفية ثمينة بحاجة إلى قراءة عميقة لاستثمار محتواها. بيد أن الكم الهائل للفيض المعلوماتي الذي تسري مادته في شبكات المعلومات، وتزايد حجم النتاج العلمي بمختلف أنماطه في الوقت الراهن بات يشكل عقبة كبيرة، دون ذلك، لأنه لم يعد لدينا فرص كافية للإحاطة بالمادة المعرفية المطروحة فيها، فكيف بمطالعتها، أو دراستها بعمق وأناة؟[1]

وإذا كان النهج الإحصائي قادراً على سبر طبيعة الأنماط السائدة في كم هائل من البيانات العددية، فإنه لن يفلح في توفير موردٍ معرفيٍّ مناسبٍ من النصوص المنتشرة هنا وهناك. وعليه فنحن بحاجة ماسة إلى معالجات من نوع جديد تكون قادرة على منحنا فرصة تحليل النصوص المطروحة، والتنقير عن المفردات المعرفية السائدة فيها، لكي نتجاوز صعوبة قراءة كل النصوص التي تقع بين أيدينا، فضلاً عن إمكانية تبويب النصوص وتصنيفها وفق طبيعة المسائل التي تعالجها، وعمق المعرفة المطروحة فيها.

ولغرض تجاوز هذه الإشكالية، وتوفير مادة معرفية يمكن استثمارها في مختلف قطاعات مجتمعنا العربي الإسلامي فقد عمدنا إلى توظيف تقنية التنقير المعلوماتي على

[1] Fry, B. J., *Computational Information Design*, Submitted To The Program In Media Arts And Sciences, School of Architecture And Planning, In Partial Fulfillment of The Requirements For The Degree of Doctor of Philosophy, Massachusetts Institute of Technology, MIT, USA (2004).

نص انتخب بعناية لبيان ما يمكن أن توفره لنا هذه التقنية من إمكانات تسهم في تحليل محتوى النص، وبيان طبيعة الخطاب السائد فيه، مع إمكانية سبر ماهية العلاقة بين المفردات التي وظفها المؤلف داخل النص المنتخب.[1]

وإذا كنا نمارس عمليات التحليل الإحصائي أو النقدي للنصوص بطريقة يدوية تستغرق منا وقتاً طويلاً وجهداً استثنائياً، فإن هذه المحاولة قد سعت إلى توظيف تقنيات آلية محوسبة قادرة على اقتناص المفردة المعرفية من ركام المفردات المتوفرة في النص، وتحليل الدلالات المصاحبة لتوظيفها، مع تتبع أهم الأنماط السائدة فيه.

تقنية التنقير المعلوماتي وآلية سبر النصوص

لقد مارس الإنسان (منذ أزمنة موغلة بالقدم) حرفة الكتابة، وتوثيق خطابه المعرفي في الرقم الطينية، ثم رق البردي قبل أن يودعها في الورق. وقد تزايد حجم النتاج الفكري الإنساني بعد أن وفرت تقنيات المعلومات بيئة الأنترنيت المفتوحة، مع بيئات سهلة لمعالجة النصوص، فبلغت عدد صفحات الويب أكثر من 8 مليار صفحة، أسهم في تأليف مادتها وصياغة خطابها بضعةُ ملايين من المؤلفين من علماء، وباحثين، ومفكرين في شتى مناحي الثقافة، ومؤسسات تتوزع أنشطتها بين صناعة، وتجارة وأعمال، وأنشطة أخرى، أضحت مورداً معرفياً لا ينضب، يمكن استثماره في ميادين عدة.[2]

ولا يقتصر توطن المعرفة على محتويات وثائق صفحات الشبكة الإلكترونية، فحسب بل هناك مواطن أخرى منحتنا إياها الخصائص الفريدة للبنية المعلوماتية للويب مثل هيكلة الارتباطات التشعبية (Hyperlinks)، والتنوع اللغوي والمرئي الذي يسود كيانها المعلوماتي.

يطلق اصطلاح التنقيب عن المعلومات (Data Mining) على العملية أو مجموعة

---

[1] Nasukawa,T. & T., Nagano, *Text Analysis And Knowledge Mining System*, IBM Systems Journal, Vol. 40, No 4, 2001, 0018-8670.

[2] Chen,M.S. & P.S.Yu, *Data Mining: An Overview From A Database Perspective, IEEE Trans,* Knowledge & Data Engineering, 1996, 8:866-883.

العمليات التي توظف مجموعة من آليات مؤتمتة لتحليل النصوص الرقمية بغرض اكتشاف الأنماط والعلاقات السائدة في مادة النص بما يضمن تعميق فهمنا به، أو الحصول على هامش تنبؤ بأفق قريب أو بعيد. أما عند ممارسة هذه الآليات على مواقع اللشبكة فيطلق عليها التنقير المعلوماتي أو المعرفي للويب (Web Mining).[1]

وقد فرت تقنيات الحوسبة الذكية المرتكزة إلى التقنيات المعلوماتية أكثر من فرصة خصبة لتحليل النصوص والوثائق الرقمية، مع إمكانية إجراء جملة من المعالجات الرياضية والإحصائية على المفردات التي يتألف منها النص بسهولة كبيرة، وقدرة حاسوبية غاشمة.

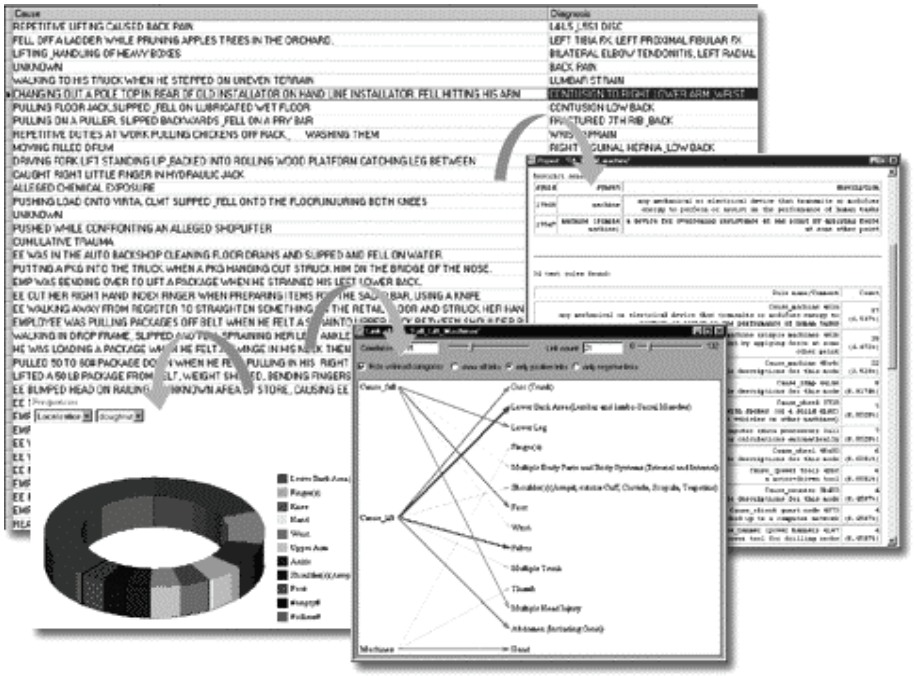

شكل (1): إحدى برمجيات التنقير المعرفي في النصوص.

وقد شجعت التقنيات الرقمية على جمع البيانات والمعلومات واستقصائها في

[1] Chen,M.S. & P.S.Yu, *Data Mining: An Overview From A Database Perspective, IEEE Trans,* Knowledge & Data Engineering, 1996, 8:866-883..

قواعد بيانات ووثائق، انتشرت ضمن مستودعات رقمية مركزية، أو موزعة شملت ميادين متعددة مثل:[1]

- الاستثمارات المالية: مثل أسعار الأسهم، ومعاملاتها، وأسعار الفائدة، وبيانات بطاقات الائتمان، وبيانات عن أنشطة مالية مختلفة.
- الرعاية الصحية: بيانات الفحوصات الطبية والمخبرية للمرضى التي تتعامل معها نظم إدارة المستشفيات.
- التصنيع والإنتاج: بيانات متابعة عمليات التصنيع، وإدارة الإنتاج، ومعلومات تخص المشاكل التشغيلية، والسبل المثلى لتجاوزها.
- شبكات الاتصال: تضم بيانات تحدد حجم الاتصالات السائدة، وأنماط توزيعها خلال ساعات النهار، وبيانات تخص نظم معالجة الخلل في عمليات الاتصال المختلفة.
- حقول المعرفة العلمية: التي تتضمن جميع أشكال البيانات والمعلومات العلمية، بمختلف ميادين المعرفة التي تتناولها أنشطة البحث والتطوير العلمي السائدة بالمجتمع.
- الشبكة العنكبوتية العالمية: جميع أشكال مواقع الشبكة، والوثائق وقواعد البيانات المرتبطة بها داخل حدود جميع أشكال أنشطة مجتمع المعلومات المعاصر.

وقد توسعت رقعة أنشطة التنقيب عن المعلومات فدخلت ساحة تحليل الخطاب الثقافي والسياسي، فظهرت بحوث متعددة سعى العاملون عليها إلى تقطير مفاهيم، وقواعد، تسهم في تعميق فهم الجوانب الكامنة في الخطاب في محاولة لربطها بالبنية النفسية للكاتب، والمؤثرات التي أفرزتها البيئة الثقافية، والاجتماعية التي يقطن فيها.

فعلى سبيل المثال لا الحصر، قامت مجموعة من الباحثين بمضمار استكشاف المعرفة في

[1] Feldman,R., M. Fresko,H. Hirsh, Y. Aumann, O.Liphstat, Y. Schler,& M. Rajman, *Knowledge Management: A Text Mining Approach,* Proc. of the 2nd Int. Conf. on Practical Aspects of Knowledge Management (PAKM98) Basel, Switzerland, 29-30 Oct. 1998.

النصوص (Knowledge Discovery In Texts: (KDT)) بدراسة بضعة آلاف من المقالات المنشورة في جريدة لوموند الفرنسية *Le Monde* خلال عامين، وباعتماد محدد منطقي واحد. شمل هذا المحدد المقالات التي تتميز بكونها مقالات مطولة لتوفير مناخ مناسب للبرنامج الذكي (Tropes) في تحليل المحتوى وتفسير المفاهيم الكامنة في نصوصها.[1]

أظهرت الدراسة وجود مجموعة من القواعد المقيمة في النصوص المختارة دارت عناصرها حول مفهوم النكبة (Catastrophy)، وقد نجحت الدراسة في تشكيل الأرضية المفاهيمية للقواعد المنطقية الملازمة لهذا المفهوم كما يأتي:[2]

النكبة = تم التحدث عنها بكثرة.

إذا

شمال أمريكا = لم يتحدث عنها قط **و** أوربا = تم التحدث عنها بكثرة.

أو

الاتصالات = تم التوسط بالتحدث عنها **و** الصراع = تم التحدث عنه بكثرة.

أو

أوربا = تم التحدث عنها بكثرة **و** العائلة = لم يتحدث عنها قط.

أو

أوربا = تم التحدث عنها بكثرة **و** المرأة = لم يتحدث عنها قط.

أو

الاقتصاد = تم التحدث عنه بكثرة **و** أوربا = تم التحدث عنها بكثرة.

يبدو واضحاً من هذه المجموعة من القواعد أن جل كتّاب هذه المقالات قد تناولوا مسألة النكبات، بيد أن هناك مبدأين قد برزا، ودار النقاش حولهما ضمن هذه النصوص.

---

[1] Kodratoff ,Y., *About Knowledge Discovery in Texts: A Definition and an Example*, Published in: *Foundation of Intelligent Systems*, Ras & Skowron (Eds.) LNAI, 1609, Springer, 1999.

[2] تم إعداد القواعد بعبارات إنجليزية منطقية قمت بنقلها للغة العربية لكي تصبح في متناول فهم القارئ العربي.

المبدأ الأول الذي يخص أوربا: يؤكد سلوكاً غير متوقعٍ من هذه الصحيفة اليومية، وهو أنه، عندما تقع نكبة في جزء آخر من العالم (بعيداً عن أوربا)، فإن موضوع النكبة لا يثار بصورة جلية. أما المبدأ الثاني فذو صلة بالصراع، ويلاحظ أن جريدة لوموند *Le Monde* تقرن الحديث عنه بموضوع الاتصالات. من جهة أخرى لوحظ أن إثارة موضوع النكبات والتحدث عنه بكثافة ضمن مقالات الجريدة ذاتها، يصاحبه في الوقت نفسه تغييب الحديث عن شمال أمريكا، والمرأة، والأسرة، والاقتصاد.[1]

وقد لوحظ أنه من مجموع 300 مبدأ محتمل يمكن مناقشته، فقد عمدت جريدة لوموند إلى تفادي مناقشة هذه المفردات عندما ناقشت بكثافة مسائل النكبات الحاصلة خارج حدود أوربا. إن مثل هذه النتائج المحوسبة بالأدوات المعلوماتية الذكية تفرض علينا إعادة التفكير في سبب غياب هذه المفردات، وما هي دوافع ذلك؟ وما هي النتائج التي يراد تحقيقها على أرض نقل الخبر للآخر؟

النص المنتخب لعملية التنقير المعلوماتي

حرصنا على انتخاب نص تناول مسألة ما يسمّى "بالإسلام السياسي" في دراسة قدمها أحد الباحثين العسكريين إلى كلية الحرب الجوية في ولاية ألباما بالولايات المتحدة الأمريكية عام 1996 لنيل شهادة عليا بالعلوم العسكرية.[2]

تألفت الدراسة من أربعة فصول، كان الفصل الأول عبارة عن مقدمة تمهيدية للدراسة، في حين عني الفصل الثاني بالتركيز على "الإسلام السياسي"، وبحث الفصل الثالث مسألة حالات الإسلام السياسي القائمة في مصر والجزائر. وختمت الدراسة بالفصل الرابع الذي عمد الباحث فيه إلى بيان التحديات التي يشكلها النهج الإسلامي السائد في الشرق الأوسط وشمال أفريقيا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية وفق

[1] Kodratoff ,Y., *About Knowledge Discovery in Texts: A Definition and an Example*, Published in: *Foundation of Intelligent Systems*, Ras & Skowron (Eds.) LNAI, 1609, Springer, 1999

[2] عنوان الدراسة هو: "The Islamist Challenge In The Middle East And North Africa".

دائرتي سياستها الخارجية، وسياستها الاستيطانية الجديدة في دول المنطقة.

آلية المعالجة المعلوماتية الذكية ونتائجها

انتخب الفصل الثاني من الدراسة التي قام بها الباحث، والذي ركّز فيه جهده لدراسة، وتحليل مسألة الإسلام السياسي في منطقتي الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. وقد تألفت المعالجة المعلوماتية–المفاهيمية لهذا النص من محورين جوهريين.

شمل المحور الأول المعالجة السطحية لمفردات النص، أما المحور الثاني فقد تناول تحليل النص وسبر مفرداته عبر ما يطلق عليه بالمعالجة المفاهيمية العميقة.

وفي كلا الحالتين تمت تغذية الملف الرقمي للنص إلى بيئات برمجية ذكية، حيث مورست عمليات التحليل على مفرداته، وبنية العبارات التي تألفت منها مادته.[1]

1. المعالجة السطحية لمفردات النص

استخدم برنامج Textalyser[2] بإصدارته الجديدة (Version 1.01) في تحليل نص الفصل الثاني من الدراسة بنهج المعالجة السطحية. وقد اعتمد التحليل السطحي على مجموعة من المعايير المعتمدة في تقييم النصوص (بمعزل عن الموضوع الذي تعالجه) فقمنا بتحليل:

- عدد المفردات المتباينة في النص والتي تعد مؤشراً على الحصيلة اللغوية للباحث.
- الكثافة المعجمية (Lexical Density) والتي تعد معياراً لوصف نسبة المفردات المعجمية إلى عدد الكلمات الكلية التي يتألف منها النص. وكلما انخفضت قيمة الكثافة المعجمية كان النص أكثر قرباً لفهم القارئ. بصورة عامة إذا كانت الكثافة المعجمية تتراوح بين 60–70٪ يعد النص ذو كثافة معجمية

[1] تم اعتماد آليات وأدوات منطق اللغة الإنجليزية لأنه الأداة الأقرب من النص الذي حاولنا تحليله وسبر دلالة مفرداته.

[2] يعد برنامج Textalyser من البرمجيات المتخصصة في عمليات التنقيب المعلوماتي للنصوص التي أصدرتها شركة Textalyzer.net عام 2004.

عالية، وتعد الكثافة منخفضة عندما تتراوح قيمتها بين 40-50٪.[1]

- حساب معامل Gunning-Fog Index الذي يستخدم عادة لتحديد سهولة تناول القارئ للنص.[2] بصورة عامة تتراوح قيمة المعامل مع النصوص السهلة بين 5-6، أما النصوص التي تزيد قيمة معاملها عن 20 فتعد صعبة التناول بالنسبة للقارئ.
- حساب متوسط المقاطع اللفظية للكلمة، الذي يستخدم معياراً لوصف متوسط المقاطع اللفظية للكلمات *(Syllable)*. ويعد مقياساً للوحدات البنائية المنطوقة، التي تتألف منها الكلمات المستخدمة في الخطاب. ويؤثر مستوى المقاطع اللفظية في الإيقاع اللغوي، وبنيته العروضية *(Prosody)*، وأنماطه التأثيرية بالنسبة للقارئ.[3]
- مؤشرات إحصائية متنوعة: وتشمل عدد الكلمات الكلية للنص، وعدد الجمل، ومتوسط عدد الكلمات بالجملة الواحدة، وأعلى عدد كلمات بالجملة الواحدة. ويمكن استثمار هذه البيانات الإحصائية في تحليل جوانب تخص أسلوبيته وقدرته على معالجة المسألة ضمن إطار معيّن.

جدول (1): تفاصيل نتائج عمليات التحليل السطحي للنص

متغير تحليل النصوص	القيم المحوسبة
عدد الكلمات الكلية للنص.	4477
عدد المفردات المتباينة.	1128
الكثافة المعجمية.	٪50.5

[1] انظر: http://www.useenglish.com.

[2] يعد معامل فوج *Fog Index* من أحد المعايير المستخدمة في اختبارات سهولة قراءة النص. وتمثل القيمة العددية للمعامل عدد سنوات التعليم التي يحتاج إليها القارئ لكي يكون قادراً على تناول المادة المطروحة في النص عندما يقرؤه للمرة الأولى. انظر: http://en.wikipedia.org/w/index.php?title=Gunning_Fog_Index.

[3] انظر: http://www.wikipedia.com.

متغير تحليل النصوص	القيم المحوسبة
سهولة القراءة Gunning-Fog Index.	15.5
متوسط المقاطع اللفظية للكلمة.	2.11
عدد الجمل.	194
متوسط عدد الكلمات بالجملة.	24.5
أعلى عدد الكلمات بالجملة.	52

ويبدو واضحاً من الجدول (1) أن نص الفصل الذي تناولناه بالتحليل يتميز بكثافة معجمية منخفضة تقدر بـــ50.5٪؛ الأمر الذي يجعله ضمن النصوص التي تميل باتجاه الخطاب العلمي المباشر، والذي لا يهتم بإثراء المحتوى بالمفردات المعجمية قدر اهتمامه بمناقشة الموضوع.

ويلقي انخفاض الكثافة المعجمية بظلاله على معامل سهولة القراءة، حيث نلاحظ ارتفاع قيمته إلى الحدود التي تصنفه ضمن النصوص التي يصعب تناولها بالنسبة لغير المتخصصين (15.5: تعني أن القارئ بحاجة أن تكون لديه 15.5 سنة تعليم لكي يكون قادراً على تناول مادته واستيعابها).

وفضلاً عن ذلك، فقد استخدم أسلوب الجمل الطويلة، وبألفاظ متعددة (المتوسط 24.5 كلمة/جملة، بينما وصلت بعضها إلى 52 كلمة/جملة) الأمر الذي يشتت ذهن القارئ العادي ويحمّله مشقة كبيرة لسبر دلالة النص.

2. المعالجة العميقة لمفردات النص

اعتمد في المعالجة العميقة لمفردات النص المنتخب استخدام برنامج حوسبة ذكية يمارس سلسلة من عمليات الحوسبة التي تتناول مفردات النص بوصفها كيانات معرفية تمتلك مجموعة من الخصائص الانطولوجية داخل حدود عباراته.[1] وقد مارس البرنامج

[1] Acetic, *Tropes Version 6.2: Reference Manual*, Semantic Knowledge Co., 13th Edition, September, 2005.

مجموعة من المعالجات المحوسبة التي تم من خلالها تقسيم مفردات الكلم إلى فئات أهمها: الأفعال، والروابط، والظروف المكانية والزمانية،والنعوت المقيدة، والضمائر الشخصية، وأسماء الكينونة، والأسماء الحقيقية.

بعد ذلك تمت عمليات التحليل الدلالي، التي اتسمت بتعقيد بالغ، حيث تم خلالها:

- تحديد الكلمات المهمة في النص ضمن كل فئة من الفئات التي قسّمت على أساسها مفردات النص.
- تحليل أنماط توزيعها داخل النص، وطبيعة توزيعها ضمن فئات ثانوية (فئات الكلمات، والمراتب المتكافئة للمفردات).
- دراسة وتحليل مستويات استخدامها في عموم النص، وعبر العلاقات المقيمة فيما بينها من خلال مفهومي الفعل Act، والفاعل (Actant).

وفي جميع الحالات تم تقسيم النص إلى مجموعة من الجمل، حيث تمارس الجملة دور خطاب معرفي تام المضمون في حدود صياغتها اللغوية والدلالية. وعلى هذا الأساس أجريت عمليات التحليل المعلوماتي، والإحصائي لكامل النص الذي تناولته الدراسة. وقد استخدم البرنامج مجموعة من الخوارزميات الذكية التي تسعى إلى إزالة الالتباس المفاهيمي الذي قد ينشأ عن تداخل دلالات الألفاظ بحسب بناء الجملة.[1]

أعد الجدول (2) بناء على النتائج التحليلية التي يولدها البرنامج الذكي. وقد احتوى كل متغير على أهم الكلمات الواردة في النص وعدد تكرار ورودها الذي يؤشر إلى مستوى اهتمام المؤلف بها ضمن خطابه. ويبدو واضحاً أن المفردة الدينية (بجميع تجلياتها الدلالية) قد استأثرت بالجزء الأكبر من اهتمامه

[1] المصدر نفسه.

(123 مرة). وجاء الجانب السياسي بالمرتبة الثانية (44 مرة) لكي يؤكد على العنصر السياسي في الحركات الإسلامية المعاصرة، وفي الوقت نفسه على الشرق الأوسط (35 مرة) بوصفه الموقع الذي اهتمت به الدراسة، ومصدر حركات الإسلام السياسي.

من جهة أخرى فقد أولى اهتماماً مقدراً بالجانب الاجتماعي مركزاً على مفردة الصراع (26 مرة)، والمجموعات الاجتماعية (25 مرة) التي تعد جزءاً لا يتجزأ من الأرضية السياسية،والمجتمع (19 مرة)، والحالة الاجتماعية (17 مرة)، والسلوك (15 مرة)، والقانون (14 مرة). وجاءت بعد ذلك متغيرات التعليم، والمتغير النفسي، والمكاني، والاقتصادي.

جدول (2): تحليل لتكرار مفردات متغيرات الخطاب في النص المنتخب

المتغير	مستويات وأعداد المفردات الواردة في النص							
	1	2	3	4	5	6	7	
الديني	الدين[123]	...	...	...	...	...	...	...
الثقافي والحضاري	التعليم[17]	الثقافة[11]	...	...	...	...	...	...
السياسي	السياسة[44]		...	...	...	...	...	...
الاجتماعي	صراع[26]	مجموعات اجتماعية[25]	مجتمع[19]	حالة اجتماعية[17]	السلوك[15]	القانون[14]	منظمات[8]	مؤسسة اجتماعية[4]
النفسي	إدراك[9]	الحياة[9]	أحاسيس[7]	سلطة[6]	نجاح[3]	...	...	...
المكاني والزماني	ش أوسط[35]	أماكن[27]	أزمنة[26]	أفريقيا[15]	بلدان[10]	أوربا[7]	العالم[5]	مدينة[5]
التقني	اتصال[5]	تقنية[4]	مادة[3]	كمية[3]	نظام[3]	وسائط[3]	...	...
الاقتصادي	مال[7]	تجارة وأعمال[3]	...	...	...	...	...	...

أما جدولي (3، 4) فيوغلان بتحليل بنية الخطاب اللغوي للكاتب الذي يعد الجزء المخفي من الخطاب. وقد أكد على الفعل الحقيقي بينما قلل من استخدام الفعل الانعكاسي ليجعل الحركات عبارة عن فعل نشأ في المجتمع ذاته بعيداً عن مبدأ رد الفعل على القهر الذي يتعرض له المسلم بالشرق الأوسط. واستخدم نهج المقارنة لكي يؤكد حجم الهوة المقيمة بين مجتمعنا ومجتمعاتهم.

جدول (3): فئات الكلمات الأكثر شيوعاً في النص Frequent Words

الفئة	عدد المفردات	نسبة الورود
الأفعال Verbs		
فعل حقيقي[1] Factive	262	٪46.8
فعل انعكاسي[2] Reflexive	123	٪22.0
الروابط[3] Connectors		
فواصل Disjunctions	24	٪7.5
مقارنات Comparisons	62	٪19.3
أزمنة Time	18	٪5.6
المشروطيات[4] Modalities		
أزمنة Time	60	٪21.4
أساليب Manner	95	٪33.8
شك Doubt	5	٪1.8
الصفات[5] Adjectives		
موضوعية Objectives	412	67.1
أعداد Numerals	99	16.1
الضمائر Pronouns		
نحن We	3	٪4.4
هم Them	33	٪44.1

ولم يستخدم الضمير الشخصي بعد أن وضع نفسه ضمن ضمير الجماعة، وجعل من

[1] الفعل الحقيقي هو الفعل الذي يصف نوعاً من أنواع النشاط الإنساني: مثل المشي، أو الحديث.

[2] هو الفعل الذي يصف حالات، أو مفاهيم ذات صلة بالحيازة أو الاستحواذ.

[3] تقوم الروابط بتنسيق عمليات الاقتران، وتعبيرات العطف السائدة في النص فتربط مفردات الخطاب بآليات: الشرط، أو السببية، أو الهدف، أو الإضافة.

[4] شملت المشروطيات مجموعة من المفردات اللغوية التي تمنح المتحدث فرصة إقحام ذاته ي خضم الحدث، أو تعيين الخطاب ضمن الزمان أو المكان.

[5] قد تكون الصفات موضوعية كالتي تصف الموجودات أو الأشياء بذاتها، أو ذاتية تؤشر نحو حكم بصدد الآخر، أو عددية تضم مجموعة من الأرقام.

مسلمي الشرق الأوسط فئة مستبعدة بعد أن استخدم بكثرة لفظة "هم" (Them) ليؤكد مبدأ الإقصاء من جهة، ولكي يلصق التهم بمجتمعاتنا، ولم يورد الضمير بصيغة الشك (شخص ما) إلا في موضعين ليؤكد قدرته على الإحاطة وجلاء الصورة على أرض الواقع.

أما الروابط فنجد تأكيداً كبيراً على عنصر الإضافة (162 مرة)، حيث يؤشر هذا الأمر إلى وجود أكثر من عامل واحد على الأرض، قد نشبت عنه مظاهر الإسلام السياسي المختلفة.

جدول (4): فئات جميع الكلمات الواردة في النص

الفئة	عدد المفردات	نسبة الورود
الأفعال Verbs		
فعل حقيقي Factive	262	٪46.8
فعل جامد Stative	175	٪31.3
فعل انعكاسي Reflexive	123	٪22.0
الروابط Connectors		
شرط Condition	3	٪0.9
سبب Cause	5	٪1.6
إضافة Addition	168	٪52.3
فواصل Disjunctions	24	٪7.5
معارضة Opposition	41	٪12.8
مقارنات Comparisons	62	٪19.3
أزمنة Time	18	٪5.6
المشروطيات Modalities		
أزمنة Time	60	٪21.4
أمكنة Place	30	٪10.7
أساليب Manner	95	٪33.8
جزم Assertion	10	٪3.6
شك Doubt	5	٪1.8

الفئة	عدد المفردات	نسبة الورود
إنكار Negation	34	٪12.1
حدّة Intensity	47	٪16.7
الصفات Adjectives		
موضوعية Objectives	412	67.1
ذاتية Subjective	103	٪16.8
أعداد Numerals	99	16.1
الضمائر Pronouns		
هو He	6	٪8.8
نحن We	3	٪4.4
هم Them	33	٪44.1
شخص ما Somebody	2	٪2.9

في الوقت نفسه أسهمت الروابط المكانية والزمانية والظروف المحيطة بتوفير وسط مناسب لتحديد موقع الفعل بين محددي الزمان والمكان، بينما لعبت ظروف النقض والحدة دوراً فاعلاً في توفير وسط مسرحة الخطاب وتحويله إلى بيئة تقارب الحدث المسرحي إلى حد كبير.

من جهة أخرى برز أثر الروابط السببية والشرطية في توفير وسط لإنشاء سلسلة متعاقبة من الاستنتاجات المنطقية. في حين قامت روابط الإضافة بتوفير مناخ مناسب لسرد وتعديد الحقائق والخصائص المطروحة ضمن الخطاب.

وأخيراً تأتي روابط التضاد لتقوم بدور أكثر خصوصية يسهم في التمهيد لمناخ مناسب للمجادلة والنقاش، ووضع الأشياء في نصابها، وتحديد تخوم المواقف المتناقضة على أرض واقع عمل الإسلام السياسي (حسب وجهة نظره).

1.2. تحليل نمط النص

أظهر البرنامج أن نمط النص (Text Style) يميل إلى النمط الوصفي إلى حد ما،

حيث قد حرص الباحث على تمييز هوية المفردات المطروحة حول الإسلام، والشرق الأوسط، والتيارات الاجتماعية، والمنظومات السياسية. أما مشهد الأفعال ومناخ أزمنتها فقد أقحم الكاتب نفسه في ساحتها، ويلاحظ الأمر بوضوح عندما نلاحظ ميله لتوظيف الأفعال في تفسير الحالات المطروحة، والأفعال السائدة في البيئة التي تناولها بمعالجته.

بصورة عامة تم تقسيم النص إلى حزم (Bundles) تضم في عباراتها الكلمات التي تقع ضمن المرتبة نفسها، والتي تبرز بكثافة واضحة في جزء محدد من النص "سواء في بدايته، أو وسطه، أو نهايته"، شريطة أن لا تكون سائدة في جميع مساحة النص. أما المشهد Episode فتألف من مجموعة حزم من العبارات التي تكاملت منطوقاً ودلالة ضمن النص المطروح.[1]

لقد أظهر التحليل المعلوماتي للنص وجود 12 مشهداً احتوت مادتها على مفردات تؤشر بوضوح طبيعة محتوى خطابها (انظر جدول (5)، حيث ساد كل مشهد من هذه المشاهد نمط محدد للمعالجة).

جدول (5): مفردات المشاهد الخمسة الأولى السائدة في النص، ومستوى تكرارها

المشهد الأول	المشهد الثاني	المشهد الثالث	المشهد الرابع	المشهد الخامس
انتقال[5]	مشروطية أسلوب[4]	نصوص مقدسة[6]	مدرسي[4]	مشروطية بيئة[4]
كنيسة بروتستانتية[3]	روابط مقارنة[3]	روابط[3]	حركة[4]	مشروطية زمان[3]
مشروطية أسلوب[5]	وحدة لغوية[20]	سبيل[5]	مشروطية مكان[3]	الإسلام[3]
مشروطية إنكار[7]	دين[5]	مورد[5]	عربية[7]	حس[3]
...	روابط تعارض[3]	مسلم[6]	فقدان[4]	نشوء[4]
...	عربية[3]	هجمات ونزاعات[4]	قاعدة[5]	انتشار[3]
...	مدينة[3]	حكم[3]	مشروطية جزم[5]	مجتمع[4]
...	سنوات[5]	مشروطية زمانية[3]	رابط[3]	فشل[8]

[1] Acetic, *Tropes Version 6.2: Reference Manual*, Semantic Knowledge Co., 13th Edition, September 2005.

المشهد الأول	المشهد الثاني	المشهد الثالث	المشهد الرابع	المشهد الخامس
...	روابط[3]	...	غرب[7]	تقنية[3]
...	السعودية[4]	...	مشروطية مكان[6]	مشروطية إنكار[5]
...	مشروطية زمانية[12]	...	...	روابط [3]
...	الإسلام[8]	...	...	ناس[3]

2.2. تحليل العلاقات المقيمة بين المفردات المفاهيمية

يسهم تحليل العلاقات بين المفردات المفاهيمية في إلقاء الضوء على طبيعة الأصناف المتكافئة (equivalent classes) التي توجد روابط مقيمة فيما بينها داخل حدود فقرات النص.

بصورة عامة تم ترتيب العلاقات في ضوء ورودها داخل حدوده. ويشير سهم الاتجاه إلى مصدر نشوء التأثير وانعكاسه على شكل علاقة حميمة بين كل مفردتين من المفردات الواردة داخل عبارات النص ومشاهده المختلفة.

جدول (6): حصيلة تحليل العلاقات المقيمة بين المفردات المفاهيمية للنص

المجتمع ⟸ الإسلام (4)
حالة ⟸ الإسلام (4)
الإسلام ⟸ المجتمع (4)
الإسلام ⟸ الانتقال (4)
السياسة ⟸ الإسلام (4)
النهوض ⟸ الإسلام (4)
الشرق الأوسط ⟸ شمال أفريقيا (4)
الشرق ⟸ شمال أفريقيا (3)
الإسلام ⟸ الحكم (3)
الإسلام ⟸ الطريق (3)
وحدة لغوية ⟸ الإسلام (3)
المسلم ⟸ الإسلام (2)
الهدف ⟸ الحالة (2)

الإسلام ⟸ المبادئ (2)
الإسلام ⟸ الأسس (2)
الإسلام ⟸ المدرسي(2)
الأسس ⟸ المجتمع (2)
الحكومة ⟸ الإسلام (2)
الإسلام ⟸ السياسة (2)
الدين ⟸ السياسة (2)
المدرسي ⟸ الانتقال (2)
الهدف ⟸ الإسلام (2)
السياسة ⟸ الشرق الأوسط (2)
العربية ⟸ الإسلام (2)
الإسلام ⟸ العربية (2)
الاقتصاد ⟸ السياسة (2)
السياسة ⟸ الحياة (2)
التفسير ⟸ الإسلام (2)
الطوائف والملل ⟸ الإسلام (2)
الإسلام ⟸ الغرب (2)
الإسلام ⟸ القانون (2)
الإسلام ⟸ المجتمع (2)
الانتقال ⟸ الفشل (2)

ويبدو من نتيجة التحليل المدرجة في جدول (6) أن المؤلف حاول وصف العلاقات باتجاهات متعددة، وذهب إلى تأكيد أثر الإسلام (بالاتجاهين الفاعل والمنفعل) في المجتمع، والسياسة، والنهوض الحضاري. كذلك أكّد على وجود تلاحم وثيق بين الشرق الأوسط وشمال أفريقيا يؤثر على نهج الأحداث في منطقة الدراسة.

بعدها تنقل ضمن مفردات نصه إلى بيان طبيعة العلاقات الأخرى وبحسب تكرار ورودها الذي يؤكد على قوة العلاقة التي تربط فيما بينها.

3.2. تحليل أنماط ورود الفئات داخل النص

يسهم برنامج المعالجة الذكية للنص في دراسة وتحليل أنماط طرح فئات المفردات السائدة في النص، بحسب ورودها في بداية النص، أو وسطه، أو نهايته، مع عدد تكرار ورود ألفاظ الفئة الواحدة مما يمنحنا فرصة معاينة ما أراد الكاتب من معالجته للمسألة التي يناقشها.[1]

ولكي تكون عملية التحليل أكثر وضوحاً حاولنا أن نجمع سوية أنماط ثلاث فئات ناقشها الباحث في دراسته لكي نقف على بعض مواطن التحليل الدقيقة بهذا النهج. وقد وقع اختيارنا على عناصر: الإسلام، والشرق الأوسط، والسياسة، لما لها من تأثيرات على نسق الحركة الإسلامية التي حاول الباحث أن يتتبع آثارها ضمن هذه البقعة الجغرافية، وبالتناظر مع منطقة شمال أفريقيا (انظر شكل 2).

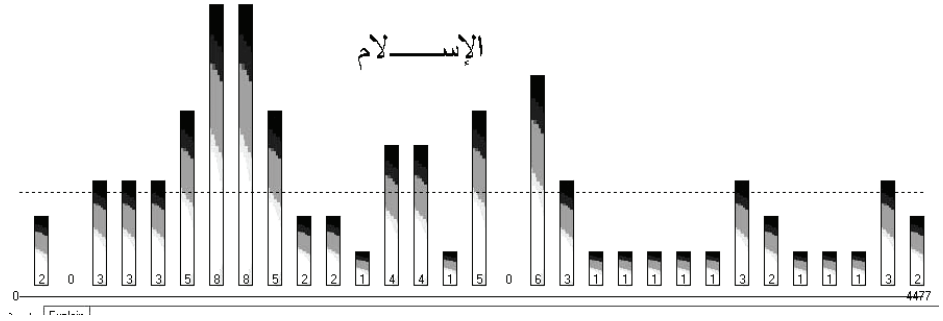

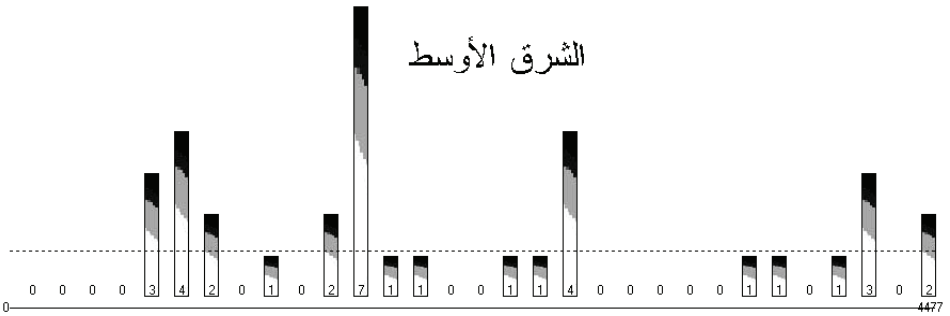

[1] Microsystems, *Text Analysis*, Version 2.3, 2003, http://www.megaputer.com.

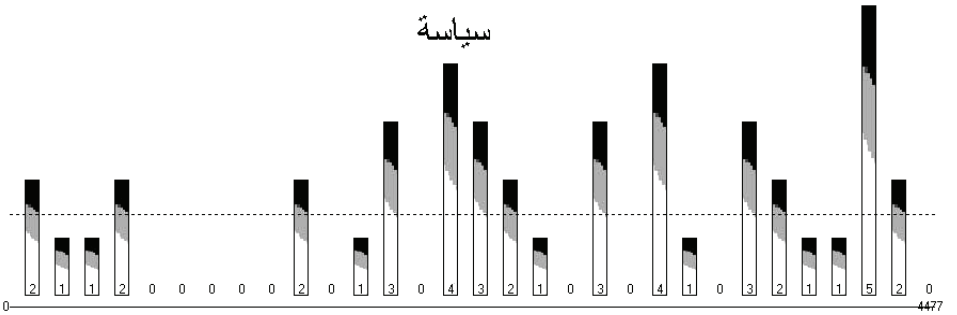

شكل (2): تجليات مفردات محددة ضمن خطاب المؤلف في النص الذي تناولته الدراسة

يبدو واضحاً أن مسألة الإسلام كانت حاضرة على الدوام منذ بداية الفصل حتى نهايته (مع اختلاف التكرار بين (2–8 مرة). أما الشرق الأوسط فقد خلت بداية النص منه، وثلثه الأخير، في حين أن السياسة قد غابت عن الثلث الأول من النص. ونلاحظ هنا أن أعلى تكرارات لمفردات الإسلام قد ظهرت في مساحة غياب مصطلحي السياسة والشرق الأوسط، مما يمنح صفة عولمية تؤكد على المخاطر المصاحبة لوجوده خارج هذه المنطقة أيضاً.

أما التناظر في زيادة التكرار لكل من الإسلام والسياسة فقد كان مشروعاً لدى الباحث للتأكيد على جانب الإسلام السياسي، وتداعياته المحتملة على المنطقة. أما الشرق الأوسط فقد دارت مفرداته حول مكة (مصدر الإلهام الروحي للمسلمين جميعاً)، وبغداد (مستقر التغييرات الجديدة التي عصفت وستعصف بالمتغير السياسي بالمنطقة)، ودمشق (التي باتت على قاب قوسين أو أدنى من مجابهة محتملة مع الولايات المتحدة الأمريكية). ولا ريب أن هناك على الدوام مكاناً لإسرائيل والفلسطينيين في خضم مفردات الشرق الأوسط، والخطاب السياسي السائد بينهما.

4.2. تحليل العلاقات الموجودة بين الفئات المتكافئة

تم توظيف البرنامج لحوسبة الفئات المتكافئة داخل حدود النص الذي تناولته الدراسة، ثم بوشرت عملية تحليل العلاقات القائمة بين هذه الفئات، فأودعت نماذج

من نتائج هذه التحليلات (لفئات مهمة) في الجداول (7، 8، 9). لقد تناولنا بالتحليل كلاً من: الإسلام والشرق الأوسط والفئات الاجتماعية.

ويظهر جدول (7) أن فئة الإسلام قد سبقتها مجموعة من الفئات، وبمستويات متباينة، داخل حدود عبارات النص. وفي الوقت نفسه تلتها فئات أخرى وبتكرار يناظر كل فئة من هذه الفئات. فهناك لدينا فئة سابقة هي الشرق الأوسط (2 مرة)، بينما تلتها فئة الموقع (3 مرات)، بينما يبدو أمامنا أن هناك نوعاً من التكافؤ بين المنظمة، والمجتمع (2 مرة) في دورانها حول فئة الإسلام.

جدول (7): شبكة العلاقات القائمة بين فئة الإسلام والفئات المحيطة به (سابقة أو لاحقة)

المفردة السابقة		المفردة اللاحقة
الشرق الأوسط[2]		الموقع[3]
القواعد[2]		الشرق الأوسط[3]
المنظمة[2]		المجتمع[2]
المدرسي[2]		الصراع[2]
شمال أفريقيا[2]		اللاهوت[2]
الحالة[2]		الوسائط[1]
طائفة / نحلة[2]		النظام السياسي[1]
الدين[2]		المحبة[1]
الحكومة[1]	الإسلام	السلوك السيئ[1]
الزمن[1]		الإدراك[1]
التحكم والسيطرة[1]		الفوارق[1]
الواجب[1]		الفشل[1]
المرء[1]		العالم[1]
السلوك[1]		المصداقية[1]
الصراع[1]		التماثل[1]
الجريمة[1]		شمال أفريقيا[1]
المجتمع[1]		النصرانية[1]

إن وضع مفردة الإسلام في هذا الجدول يستهدف بيان المفردات التي تسبق ورودها داخل النص المنتخب، والمفردات التي تلي ورودها في النص. فعلى سبيل المثال نجد أن هناك تلازماً بين ذكر الشرق الأوسط (2 مرة) وذكر الإسلام، وكذلك الحال إذا ذكر الإسلام نجد أن هناك كلمات تليه على الدوام، مثل الصراع، والنصرانية، والسلوك السيئ. وتمنحنا هذه الشبكة من العلاقات فرصة تحديد الروابط التي يقيمها المؤلف بين سبب ومسبب.

أما بالنسبة للعلاقات المقيمة بين فئة الشرق الأوسط، وما يسبقها أو يليها من فئات متكافئة (أنظر جدول (8) فمن الواضح أن فئة الشرق الأوسط تؤكد نفس الترابط الحميم مع الإسلام الذي ظهر واضحاً في جدول (7). كما أن للزمان أثراً متكافئاً مع الفشل (كلاهما تكرر مرتين قبل وبعد) ضمن بناء العبارات التي نوقشت خلالها مسألة الشرق الأوسط.

جدول (8): شبكة العلاقات القائمة بين فئة الشرق الأوسط والفئات المحيطة به

الإسلام[3]		شمال أفريقيا[4]
حالة[2]		الإسلام[2]
زمان[2]		فشل[2]
ثقافة[2]		شعبية[2]
بلد[1]		عالم[1]
شخص غير متدين[1]		تماثل[1]
تاجر[1]	الشرق الأوسط	سكان[1]
محبة[1]		مدينة[1]
دين[1]		مال[1]
فشل[1]		مواد كيميائية[1]
عمر[1]		ارستقراطية[1]
أعمال فنية[1]		ثقافة[1]
ملابس[1]		حياة[1]
حكومة[1]		موقع[1]

أما الجدول (9) فقد تم انتقاء فئته لتلقي بعض الضوء على موقف الباحث من المنظمات الاجتماعية الموجودة في الشرق الأوسط، وشمال أفريقيا. ويبدو واضحاً أنه قد وضع المال في مرتبة سابقة للمنظمات الاجتماعية، وهو هاجس دائم في تعامل الغرب مع المنظمات الاجتماعية التي ينظر إليها على أنها مصدر لتمويل غايات مناوئة. وكذلك الحال بالنسبة للدين الذي يعد المصدر الذي تعتمده هذه المنظمات في استعداد مسوغات فعلها وصياغة مناهج عملها.

جدول (9): شبكة العلاقات القائمة بين فئة المنظمات الاجتماعية والفئات المحيطة بها

المال[1]	المنظمات الاجتماعية	الكيمياء[1]
الشرق الأوسط[1]		الشرق الأوسط[1]
الدين[1]		المنظمة[1]

وفي جميع الحالات يمكن أن نقيم عدداً كبيراً من حالات المقارنة بين الفئات المتكافئة التي نريدها، لكي نستطيع أن نتلمس النسق المفاهيمي المستبطن في نص الباحث، وما يحاول أن يؤسسه ضمن حدود نصه حول هذه المسائل الحيوية.

الخاتمة

هل ستتحول السياسة إلى سلسلة متعاقبة من علميات التحليل الذكي للنصوص؟ أم هل سنهجر حرفة القراءة، ونترك للحاسوب فرصة ممارستها لكي يتنقل داخل النص بحرية، ويمنحنا في نهاية مطافه مجموعة من الإحصائيات والمترابطات الرياضية والمنطقية المعقدة؟

كلا! ليس هذا ما أردنا أن نؤكده في هذه الدراسة، ولكنا حاولنا اقتراح نهج جديد بات خطابنا العربي والإسلامي بحاجة ماسة إليه لكي يبدأ ممارسة قراءة مسبقة للنصوص المتراكمة دون أن تتوفر لدينا فرصة لقراءتها، وذلك بغرض العثور على أهم

المفردات المعرفية المطروحة، وانماط العلاقات التي تسود بينها، وطبيعة النسق المفاهيمي الذي اعتمده الباحث عندما باشر بتدوين خطابه في البيئة الرقمية المكتظة بالنصوص وقواعد البيانات.

كذلك فإن الحجم الهائل من الخطابات الغثة والسمينة على مواقع الأنترنيت بات بحاجة إلى قراءة، وتحليل، والوقوف على حقيقة المواجهة القائمة بين معسكرنا ومعسكر الخصم الذي يتربص بنا الدوائر. نحن بحاجة إلى سعي دائم لتجديد آليات الوعي العربي، ولا ريب أننا متفقون جميعاً على أن أعمق حالات تغييب الوعي هي تلك التي يغط فيها خطابنا السياسي العربي. ونأمل أن تسهم المعالجات المعلوماتية الذكية في إذكاء قدراته، وبث روح متجددة في آلياته المتقادمة!